كيف عامل النبي ﷺ أهل الكتاب

لقد سمى الله تعالى في القرآن الكريم اليهود والمسيحيين بأهل الكتاب، وبين كيف ينبغي أن تكون العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب. ومنذ ظهور الإسلام كان التفاهم والتسامح هما السمة السائدة في العلاقة بين الطرفين. وبالرغم من التحريف الذي طرأ بعد ذلك على كتب أهل الكتاب وعقائدهم، إلا أن أنهم ما يزالون يستندون في كثير من أخلاقهم إلى أساس الإيمان بالله الواحد، وإلى مفهوم الحلال والحرام. وقد حض القرآن الكريم على أن تكون العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب علاقة حضارية قائمة على الاحترام والتفاهم. فطعام أهل الكتاب حل للمسلمين؛ وللرجال المسلمين أن يتزوجوا من نسائهم. ﴿ **الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ (المائدة:٥)، وهذه الأحكام تفيد بأنه يمكن بناء علاقات جوار حميمة وإنشاء علاقات قرابة بين المسلمين وأهل الكتاب من اليهود والمسيحيين، كما يمكن لكل طرف منهما أن يجيب دعوة الآخر إذا دعاه لمأدبة طعام. ومثلما هو الشأن في جميع الأمور، فالنبي عليه الصلاة والسلام هو القدوة والنموذج في هذا الموضوع كذلك. فقد عامل رسول الله ﷺ اليهود والمسيحيين معاملة في غاية العدل والرحمة، وقد أراد بذلك أن يؤسس لعلاقة بين أتباع الأديان الأخرى والمسلمين تقوم على التفاهم والمحبة. ففي عهد النبي عليه الصلاة والسلام وكذلك في الفترات التي جاءت من بعهده كُتبت معاهدات ووضعت ضمانات تسمح للمسيحيين واليهود بممارسة شعائرهم

الدينية على النحو الذي يريدونه، وتعطي الفرصة كذلك للجماعات الدينية الأخرى لكي تواصل حياتها ووجودها بصورة طبيعية. وخلال الأعوام الأولى من ظهور الإسلام تعرض المسلمون لظلم وأذى كبيرين من المشركين، وبإشارة من النبي عليه الصلاة والسلام هاجروا إلى الحبشة ودخلوا في حماية النجاشي الملك المسيحي هناك في تلك الفترة. وعندما هاجر النبي ﷺ ومن معه إلى المدينة كانت علاقة التعايش التي ربطتهم باليهود الذين كانوا يسكنون هناك مثالا يحتذى لجميع الأجيال التي جاءت من بعدهم. كما أن التسامح الذي عومل به اليهود والمسيحيون الموجودون في الجزيرة العربية في عهود انتشاره وتوسعه يعد أنموذجا حيا للطريقة التي يتبعن على المسلمين التعامل بها مع أهل الكتاب. وكمثال على ذلك فقد جاء في المعاهدة التي أمر النبي عليه الصلاة والسلام بكتابتها للمسيحي ابن حريش بن كعب ومن هم على دينه: "

وبعد أن كتب هذه البنود قرأ قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٦).(١).

وهناك روايات تقول بأن رسول الله ﷺ حضر مآدب أعراس أهل الكتاب وزار مرضاهم وأكرمهم وطيب خاطرهم. حتى إنه عندما زاره وفد من مسيحيي نجران فرش عليه الصلاة والسلام لهم عباءته وطلب إليهم أن يجلسوا. وما زواج النبي ﷺ من المرأة المصرية المسيحية ماريا (أو مريم) إلا تأكيد لهذا الوعي الرفيع والخلق السامي. وبعد انتقال النبي عليه الصلاة

(١) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك توفي في عام ٢١٨ هـ/ ٨٣٤ م)، السيرة النبوية، دار التراث العربي، بيروت ١٣٩٦/ ١٩٧١، الجزء الرابع، ص. ٢٤١-٢٤٢؛ حميد الله، الوثائق، ص. ١٥٤-١٥٥، رقم٩٦-٩٧؛ الحياة مع المصادر الشرقية والغربية، ص. ٩٥.

والسّـلام إلى الرفيق الأعلى كانت المعاملـة الطيبـة والحـسنة التـي تعامـل بهـا المسلمون مع أهل الكتاب تقـوم عـلى أسـاس مـا رأوه مـن رسـول الله عليـه الصلاة والسلام طوال حياته من تسامح مـع الجماعـات غيـر المـسلمة ومـن واحترام لها.

***

obeikandl.com